

خاتم سليمان!

نصف خبر

الماضي، وأن أماننا قرونا طويلة من الزمن لتتعرف على اكتشاف جديد اسمه الكمبيوتر!

• ومن يصادف خروجنا من المساجد زرافات وحداونا «البشر يعلو وميهاهم والغبطة تنبعث من أعينهم من فرط السرور والحبور» يعتقد أننا حمائنا مساجد .. لا بل ملائكة تمشي على الأرض!

• ومن يلاحظ سلوكياتنا مباشرة بعد خروجنا من المساجد يدرك أننا كنا نصلي ألبا، وأن الصلاة لم تستطع أن تنهانا عن الفحشاء والمنكر!

• ومن تقدّم خطواته إلى شاطئ من شواطئنا يجزم أنه أخطأ وجهته، وأنه في بلد آخر غير بلد حمائنا المساجد!

• ومن يسرّ في شوارعنا ويلاحظ بشكل ملفت آثار الصفاق على أرصفتنا بما لا يمكن أن تراه في شوارع أقدّر مدن العالم يتأكد أن هذا المجتمع لا علاقة له بدين النظافة ولا بمجتمع التمدن والحضارة!

• ومن يدخل مكتبنا ويجد الكتب مرصوفة مرصوفة على الرفوف منذ عهد عاد وثمود يجزم أن لا علاقة لنا بأمة أقرأ، وأنا لم نفتح في حياتنا كتاباً واحداً، وأن على أصحاب المكتبات أن يبحثوا عن مهنة أخرى!

• ومن يدخل أسواقنا ومحلاتنا التجارية ويجدنا نتسابق وتتلاحق خلف البطاطا والفلفل والمطاطم، واللثت يجزم أننا شعب ملهوف خرج لثوه من المفازة، وأنه يسابق الزمن ليعوض سنوات الجوع والحرمان!

• ومن يدخل مطعماً من مطاعمنا ويسمع أصواتنا العالية المرتفعة يجزم أننا في عرس بدون شائوش، وأنا ندخل مطعماً أول مرة في حياتنا!

• ومن يدخل مكتباً من مكاتب البريد أو بنكاً من البنوك في بلدنا ويرى الناس تخرج بالأموال في أكياس بلاستيكية داكن لونها، يجزم أننا قررنا جميعاً أن نسحب نقودنا في يوم واحد، وأن البلاد في طريقها لأزمة اقتصادية مؤكدة!

• ومن يتجول في بلادنا ويُرّز جنوبها الساحر وشمالها الفتان، وشرفها الباهي وغربها الزاهي، يجزم أنه في جنة. كما وصف الشاعر العظيم مفدي زكريا - أين منها جنة الخلد التي تجري من تحتها الأنهار!

• ومن يشاهدنا ونحن نملأ المطارات والموانئ يجزم «أن الإنسان لربه لكود»، وأنا نسئنا الحنة، وقررنا أن نتركها ونخرج منها جميعاً كما فعلها أبانا آدم من قبلنا!

• ومن يسمع عن قوافل «الحراقة» من شبانيا وهم يبحرون نحو المجهول يحزن أنه لم يعد على هذه الأرض ماستبحط الأمان، وأن البلاد ضاقت بهم، وأن عليهم أن يبحثوا عن أرض أخرى تسع طموحاتهم وتستوعب أحلامهم حتى لا يضفوا أنفسهم في قائمة: «الذين تتوهم الملائكة ظالمي أنفسهم» فتطبيق عليهم أحكام الآية 97 من سورة النساء!

• ومن يشاهدنا في الطرقات ونحن داخل سيارتنا نملأ مداخل المدينة ومخارجها، ونوزع التلوث بالمجان على صفائنا يتساءل: من يعمل في هذه البلاد؟

• ومن يرانا ونحن نتسابق بعضنا البعض بسياراتنا صباحاً، يحزن أننا شعب يتنافس الشعب البياتي في احترام الوقت، ويأثم الضعيف الصنيتين في عشق العمل ويسابق الزمن حتى لا يسبقه الزمن!

• ومن يقصد إدارة من بعض إدارتنا أو مؤسسة من مؤسساتنا ويجدنا هناك صففا صففا من يتكلمون، يحزن أن هذا البلد قد أصيب فجأة بنوبية تسمم جماعي!

• ومن يقصد طبيياً من أطبائنا ويستلم منه وصفة مكتوبة بقلم جاف ويخط لا يمكن للفقاري أن تفك طلاسمه، يجزم أن الزمن توقف بنا عند بداية القرن



بقلم: سليمان مکتوب

رغم الشك الذي يظل يساورني في نية فرنسا المبيتة بطمس معالم 19 مارس وإفئاعنا بالتاريخ لخرجها من الجزائر صاغرة ذليلة بنص يوم غزوها بلادنا في الخامس من جويلية، إلا أنني استحضّر الآن ونحن على مقربة من «عيد الاستقلال والشباب، شعور أبائنا وهم ينتظرون في مثل هذه الأيام اليوم الموعد ليزوغ فجر استعادة السيادة الوطنية عام 1962 م، والذي تم ترسيمه في ما بعد باسم الشباب عيداً صاحباً حتى مطلع الفجر!

من بعض مؤسساتنا ويجد أن العمل عندنا يبدأ في الصباح على التاسعة والنصف، وينتهي قبل الثالثة مساءً. يحزن أننا ننافس أشقائنا في اليمن السعيد على تقديس مواعيد تناول القات!

• ومن يرانا مساءً ونحن نتلاحق بسياراتنا لدرجة أننا وبمنتهى الأناثة لا يمكن أن نترك أحداً يمر قبلنا حتى لو أغلقنا الطريق على بعضنا البعض - يحزن أننا في يوم يشبه اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنينها!

• ومن يرانا نسير راجلين في شوارعنا بين السيارات ووسط الطرقة الرئيسية وغير الرئيسية، ولا نعترف بشيء اسمه ممر الراجلين، يجزم أننا لم ندخل مدينة قط في حياتنا وأنا يوم دخلناها أفئدناها!

• ومن يقصد على الأرقام المهولة التي تحدها حوادث المرور في بلادنا يدرك أن هذا الشعب كره الحياة أو شيعها، وقرر الانتحار الجماعي السريع على طريقة الساموراي!

• ومن تذهب به رجّله إلى مستشفى من مستشفياتنا ويجدنا هناك صففا صففا من يتكلمون، يحزن أن هذا البلد قد أصيب فجأة بنوبية تسمم جماعي!

• ومن يقصد طبيياً من أطبائنا ويستلم منه وصفة مكتوبة بقلم جاف ويخط لا يمكن للفقاري أن تفك طلاسمه، يجزم أن الزمن توقف بنا عند بداية القرن

• ومن يسمع عن قوافل «الحراقة» من شبانيا وهم يبحرون نحو المجهول يحزن أنه لم يعد على هذه الأرض ماستبحط الأمان، وأن البلاد ضاقت بهم، وأن عليهم أن يبحثوا عن أرض أخرى تسع طموحاتهم وتستوعب أحلامهم حتى لا يضفوا أنفسهم في قائمة: «الذين تتوهم الملائكة ظالمي أنفسهم» فتطبيق عليهم أحكام الآية 97 من سورة النساء!

• ومن يشاهدنا في الطرقات ونحن داخل سيارتنا نملأ مداخل المدينة ومخارجها، ونوزع التلوث بالمجان على صفائنا يتساءل: من يعمل في هذه البلاد؟

• ومن يرانا ونحن نتسابق بعضنا البعض بسياراتنا صباحاً، يحزن أننا شعب يتنافس الشعب البياتي في احترام الوقت، ويأثم الضعيف الصنيتين في عشق العمل ويسابق الزمن حتى لا يسبقه الزمن!

• ومن يقصد إدارة من بعض إدارتنا أو مؤسسة من مؤسساتنا ويجدنا هناك صففا صففا من يتكلمون، يحزن أن هذا البلد قد أصيب فجأة بنوبية تسمم جماعي!

• ومن يقصد طبيياً من أطبائنا ويستلم منه وصفة مكتوبة بقلم جاف ويخط لا يمكن للفقاري أن تفك طلاسمه، يجزم أن الزمن توقف بنا عند بداية القرن

• ومن يقصد إدارة من بعض إدارتنا أو مؤسسة من مؤسساتنا ويجدنا هناك صففا صففا من يتكلمون، يحزن أن هذا البلد قد أصيب فجأة بنوبية تسمم جماعي!

souleyman@maktoob.com

محرقة لأوهام المتاجرين بدماء رهبان تجيرين



بقلم: أنور مالك

لمرة الأخرى، وبعد الشريط الذي عرضته «كنال بلوس، أواخر جوان 2010، ووقفته بشهادته من سمتهم بالعارضين الجزائريين، أجد نفسي مضطراً للحديث عن مجزرة رهبان تجيرين التي أفرقت في أعالي المدينة شهر ماي من عام 1996، والتي لا تزال تثير الجدل وتسيل الجبر من حين لآخر، في ظل إصرار فرنسي غريب ومشبوه وغير بريء، على توريث الجيش الجزائري وبأي طريقة كان.

ومن دون العودة لتفاصيل الحادثة المولمة التي ذهب ضحيتها رهبان تجيرين، والتي أسالت طرفانا من الحبر الأسود والسري، ولا سرد مفصل لشهادتي الطويلة، أرى من الضروري أن أذكر بعض ما جاء في بياني الذي وزعته والبلغة الفرنسية، حيث أكدت فيه أنني ضابط سابق في الجيش الجزائري، ولاجئ سياسي في فرنسا، مما يعني أنني لست مفسدوما على النظام أبدأ، ولا على أي طرف قد يقدم خدمات مجانية أو مأجورة، تكون مبرجة ومبيطة النوايا، بل أنا أدافع عن الحقيقة ولو تكون ضد نفسي، لا أجاري أحداً ولا أداري عن أي كان.

خلال فترة إختطاف رهبان تجيرين عام 1996 كنت في المؤسسة العسكرية، وعاشت الكثير من كوابيس تلك المرحلة الحرجة التي أدركت فيها القيادة ووزارة الدفاع الوطني أن إقناذ الرهبان مهم للغاية، وهو ما سيضع حداً لكثير من التداعيات والتلاعبات، التي تستعمل المخابرة الفرنسية كماهدتها على إشغال الهيبب فيها، وخاصة في المناطق التي يستهدف الرهبان فيها، بين الجزائر وباريس، وما أكرهها.

كما أكدت في شهادتي أن الرواية التي قدمها الجنرال الفرنسي فرنسوا بوشوتار، والتي تتعلق بتورط الجيش في القتل الخطأ للرهبان بواسطة طائرة الهليكوبتر، غير صحيحة إطلاقاً ومن كل النواحي، لأن الجيش خلال تلك الفترة أعطى أوامر صارمة بالحفاظ على حياة الرهبان، ومنع حتى قصف مراكز الجماعات المسلحة بالأسلحة الثقيلة والطائرات، وخاصة في المناطق التي يعتمل تواجد الرهبان فيها، والذي أكدت المراسلات الأمنية حينها أنهم مع قيادات «الجهاد»، ويعتمل جداً تواجدهم برفقة جمال زيتوني في أعالي الشريعة.

ونضيف أيضاً أن المعطيات والمسلمات العسكرية تقدّم تلك الأطروحة، ولا يمكن أن تتماشى مع ما صرح به الجنرال الفرنسي الأسبق، لأنه لا يعقل أبداً أن تقتل الطائرات معالق الإرهاب من علو منخفض ولا على جنب، كما لا يمكن أبداً أن يقتل الرهبان نتيجة صواريخ أطلقت من بعيد، ولا يوجد أي أثر برؤوسهم، فالعروف أن ضحايا القنابل التقليدية

ومهما ثبتت حقيقة هذه المجزرة التي ارتكبتها الجماعة الإسلامية المسلحة «الجهاد» بلا منازع، ولا يمكن أبداً القفز عن هذه البديهية مهما مضى بنا قطار العجز، ومهما حمل لنا الأيام من مفاجات تحسن العجز الظل ريب خيوطها.

فمرة تطلّع وسائل الإعلام من أن الجماعة الإسلامية المسلحة «الجهاد» هي صنعية المخابرات، وهي التي قتلت الرهبان بإيعاز أمّني من المؤسسة العسكرية الجزائرية، بل يأتون بالفارسية التي لا يقبلها عقل ولا منطق وعلى أسنّة غير موثوقة أصلاً، وفي مرات أخرى يتيججون بأن الجيش هو الذي أخطأ في قتلهم، وربما مستقبلاً سيؤمنون أن الرهبان لا يزالون مفقودين في سجن سري، أو أن وزارة الشؤون الدينية هي التي أعدمتهم في إطار محاربة التبشير...

الجاء! الكثر الفرنسي البواح بأي شهادة لا تدين الجيش الجزائري!

لقد سبق ونشرت شهادة في هذا الموضوع عبر مواقع مختلفة، كما تحدثت عن ذلك أيضاً، في قناة «الحوار» الفضائية التي تبث من لندن في 09 / 07 / 2009، وفي برنامج «أضواء على الأحداث» الذي قدمه حينها الإعلامي الجزائري سليم صالح، وتناولت الحلقة قضية الرهبان وتداعياتها.

وفي 10 / 07 / 2010 وجهت بيانا إلى وكالة الأنباء الفرنسية وبعض الصحف المهتمة بشأن الرهبان بباريس، وفي وقت كانت القضية تشغل الرأي العام، غير أن الشهادة فوبلت بالتجاهل والرفض التام، ليتواصل الإحراج على روية واحدة يعصف لها البعض من الجزائريين الذين يتسربلون ثوب المعارضة في الخارج، إما جهلا أو حقداً أو إنتقاماً أو حتى غيابة للأسف الشديد، وبحسبون أنهم يحسنون صنعا ماداموا يعارضون النظام ويوطئونه على حد زعمهم، وسبب منابعتنا للشأن في الخارج ومعرفتنا ببعض الكواليس وبناء على ما عايشنا من خلال تواصلنا مع هؤلاء، أدركنا يقينا أنه لو بقولهم أن النظام انقضى في الجزائر شرق وغربا وسبعا ونغربا، لكفروا بذلك وهبوا ينسجون القصص ويفبركون ما وراء السطور.

وهو الذي أوحى له أن الأمر سيبدل في إطار كسب شاهد جديد يسيوط النظام الجزائري والمؤسسة العسكرية، فلا يحزن في نظره أن يأتي لأجئ سياسي ومناهض للحكومة ويقدم شهادة تكون لصالحهم، كما علق بعدما فهم وجهة نظري.

فقلت له: يا سيدي أنا لست معارضا للنظام الحاكم في الجزائر، وليست لدي مشكلة معه أساسا، أنا كاتب وصحفي فقط، أبحث عن الحقيقة دوما ولو في أدغال الأمازون، ولو كان الأمر كما يزعم جنرالكم ما تآخرت لحظة في الجهر به، لأنني لا أخشى في الله لومة لائم، وهؤلاء آبرياء قتلوا بصورة بشعة كباقي الجزائريين، ممن لو أعادنا مشاهد إبادتهم لقلقتنا الصدمة من هولها.

فرد قائلا: لكن ما ترويه يا سيد أنور مجاف للحقيقة غاضبا: يعني أنني أكتب أو أزيد؟! هذا لن أسمع به.

أجابني بلهجة الأسف: لا ليس كذلك سيدي، ما كان يقال لك كضباط بسطاء غير ما كان يجري في كواليس المخابرات، المعلومات المهمة كالتعلق بالرهبان تحجب عنكم لا تصل إلا لمجموعة معينة على مستوى قيادي رفيع المستوى.

قلت له: انشروا شهادتي واتركوا الرأي العام يحكم... بلهجة متلعثمة: لا يمكن ذلك أبدا، لدينا رؤية تحريرية واضحة في القضية.

رددت عليه: يبدو أنك تصرون على شيء واحد، ولو عاد أحد الرهبان للحياة وروى القصة كاملة ما صدقتموه، أو ربما تنهون الجيش الجزائري أنه أحياء بعدما جندهم لصالحه.

ثم تساءلت: هل فرنسا تبحث عن الحقيقة أم تريد الوصول لبني آخر تبيته؟

أجاب بتبرية تردد: أؤكد الحقيقة، ولكن نحن صرنا نراها واضحة وقد أتت على أسنّة شهود مهمين، فرددت عليه: أولا أنت صحفي ولست قاضي تحقيق، وثانيا أنك تكت ضابطا في المؤسسة العسكرية وبعض الأشخاص الذين يتحدثون عنهم لا علاقة لهم بالقضية على الإطلاق.

فجاب بما يراه نصحا لي: إن أردت أن تزعم ظانكم وأنت لأجئ سياسي في فرنسا، فالأفضل أن تتركهم قطارنا، كما فعل الكثيرون.

فقلت له: ليدس في في الحياة إذعاج هذا أو ذلك، ولا يد تصفية حسابات كما قد تتخيل. تدعني إلى أن أنسج الأساطير أو أوافق عليها، أنا تاجر محب للحقيقة ولا أنصير لأي باطل ولو كان صاحبه ملاك طاهر، بل أنا أحب الحقيقة ولو كانت لصالح الشيطان.

anoumalek@gmail.com